Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقابلة عجلى بين كتاب الكامل للمبرد وكتاب المقامات للحريري ! فيرى « أن الغرض من الكتابين واحد ، إلا أن القارىء ، لا يمل من مطالعة الكامل كما يمل من مطالعة المقامات»[٣١] . والسبب عند ضومط يكمن في أن المقامات للحريري يبنى على نماذج تقوم على وتيرة واحدة لا تنوع في الأسلوب فيها ، بخلاف الكامل للمبرد فإن الفصول فيه متغايرة والأساليب متنوعة . ولا يكتفي بهذين الكتابين ، بل إنه يعمل على عرض مقابلات سريعة بين عدد آخر من الكتب التراثية الموسوعية، ليصل بعد هذا إلى مقابلات بين بعض أبيات للمتنبي وأخرى للنابغة . وهو يُفَضِّلُ المتنبي ههنا لسرعة تنقله بين المعاني ؛ الأمر الذي يرى فيه ضومط تحقيقاً ناجحاً لإبعاد قارىء المتنبي عن الملل أو التبرم . وأياً كانت الحقيقة في هذا الكلام لجبر ضومط ، فإن المهم في هذا المجال هو أن الرجل يعمد إلى التقاط « بقعة ضوء » من الماضي الأدبي للأمة ، يحاول من خلالها أن ينير ساحة معينة من الحاضر . ولعله كان يأمل ، من خلال هذا النهج ، أن يكون أكثر تأثيراً وإبلاغاً وإقناعاً في عرض وجهة نظره أمام قارئيه من أبناء العربية .

أما الملاحظة الثالثة ، فإن ضومط ينطلق منها ليرى أن على الكاتب أو المؤلف أن ينتقل في عرض معانيه وأفكاره « من الحسن إلى الأحسن ومن المنبه إلى المؤثر ومن المؤثر إلى المهيج »[٣٢] . وهذه المرة يعمد إلى إثبات صحة استنتاجه باقتناص « بقعة ضوء » من الوافد الأجنبي على الثقافة العربية . إنه يعرض نموذجاً من مسرحية « يوليوس قيصر » لشكسبير . وبالتحديد فهو يدرس خطبة مارك أنتوني بُعَيْدَ اغتيال قيصر . يلاحظ ضومط ، في هذا المجال ، أن أنتوني ، الذي كان يقصد من خطابه إثارة الناس ضد قتلة قيصر ، قد ابتعد بادىء ذي بدء عن « كل الصور التي تهيج حاسة الغضب عند سامعيه من عامة الشعب واكتفى بما يُنَبِّه »[٣٣] ، ويتابع ضومط قائلاً إنه عندما علم أنتوني أن نفوس الجماهير قد صارت على أشد انتباهها عرض عليهم ، حينئذٍ ، الصورة التي تهيج غضبهم على بروتوس وجماعته وتدفعهم فعلاً إلى الانتقام . ثم تلا ذلك ، كما يحلل ضومط ، إمساك الخطيب عن الكلام ، الأمر الذي دفع